الدَّلَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ لآياتِ النَّعِيم والثَّوَابِ

(قِرَاءَةٌ سِيَاقِيَّة)

د.زهور سرحان عمر القرشي

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد_ الكلية الجامعية بتربة_ جامعة الطائف.

مُلَخَّصٌ:

يستكشف البحث الموسوم بـ " الدَّلَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ لآياتِ النَّعِيم والثَّوَاب(قِرَاءَةٌ سِيَاقِيَّة)"، كيف أنَّ السِّيَاق القُرْآنِيّ، بتركيبه المتنوّع من مفردات وصوتيَّات، يكشف عن المعاني النَّفْسِيَّة العمِيقة لآيات النَّعِيم والثَّواب، معتمدًا على نظريَّةِ السّياقِ ؛ لتبيانِ كيف أنَّ الاختلاف في استخدام الكلمات، بين الإفراد والجمع، والتَّعريف والتَّنكير، بالإضافة إلى تأثير السِّيَاق الصَّوتي، يُسهم في تحديد المعنى النَّفْسِيّ المقصود، ويؤكِّد أنَّ فهم ظروف نزول الآيات، والمخاطبين بها، ضروريٌّ ؛ لتفسير دقيق يكشف عن الجوانب النَّفْسِيَّة والعَاطِفِيَّة التي تهدف إلى تحفيز المؤمنين؛ وبذلك، يبرز البحث أهميَّة السِّيَاق القُرْآنِيّ؛ بوصفهِ أداةً تحليليَّةً، تكشف عن المعاني الخفيَّة للآيات، وكيف أنَّ نظريَّةَ السّياقِ تُسهِم في الوصول إلى فهم أعمق، وأكثرَ دقَّةً لِلنَّصِّ القُرْآنِيّ

الكَلِمَاتُ المفتاحيَّةُ: (دَلَالة- النَّفْسِيّ- السِّيَاقِ- النَّعِيم- والثَّوَاب) .

: Abstract

The research, titled "The Significance of Context in Understanding the Psychological Meaning of Verses of Bliss and Reward," explores how the Quranic context, with its diverse composition of vocabulary and phonetics, reveals the profound psychological meanings of verses of bliss and reward. The research relies on the descriptive analytical method to demonstrate how the variation in word usage, between singular and plural, definite and indefinite, in addition to the effect of the phonetic context, contributes to determining the intended psychological meaning. The research emphasizes that understanding the circumstances of the verses' revelation and their addressees is essential for an accurate interpretation that reveals the psychological and emotional aspects aimed at motivating believers. Thus, the research highlights the importance of the Quranic context as an analytical tool that uncovers the hidden meanings of the verses, and how the descriptive analytical method contributes to achieving a deeper and more accurate understanding of the Quranic text.

Key Words: Contextual Significance ،Psychological Meaning ، Bliss and Reward

- **المقدِّمة:**

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنزل على عبدِهِ الكتابَ، ولم يجعلْ لهُ عِوجًا، والصَّلَاة والسَّلام على أفصح العرب لسانًا، وأوفاهم بيانًا، الذي شرفه ربّ العالمين بما تنزَّل به الرُّوح الأمين على قلبه بلسان عربيّ مبين؛ ليكون نذيرًا وبشيرًا للعالمين، وبعدُ:

فإنَّ موضوع هذا البحث هو: "" الدَّلَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ لآياتِ النَّعِيم والثَّوَاب(قِرَاءَةٌ سِيَاقِيَّة)"، وهو يتناول مفهوم السِّيَاق وأنماطهُ، وأثره في الكشف عن الدَّلَالَات القُرْآنِيَّة في آيات الجنَّة والنَّعِيم، ودوره في التَّفسير؛ فقد يأتي القرآن بالكلمة مفردةً في مواضعَ، ويأتي بها جمعًا في مواضع أُخر، مثل: (جنَّة، وجنَّات)، أو (سماء ،وسماوات)، أو (فاكهة ،وفواكه). وقد يستعمل لفظٌ في موضعٍ بالتَّعريف، وفي موضعٍ آخر بالتَّنكير ، مثل : (الجنَّة، وجنة)، ويكشف السِّيَاق وعن كلّ تلك الفروق.

وتتجلَّى أهمية السِّيَاق الكبرى في تفسير كتاب الله ؛ إذ لا يستطيع المفسِّر أن ينسلخ عن سياق السُّورة، أو الآية الواردة فيه؛ لأنَّ ذلك يجعله يصل إلى طريق مسدود من المعاني غير المترابطة، ويؤدِّي به إلى الخطأ، والزَّلل، والخلل، وتوسم آراؤه بالعلّل.

وقد عُني العلماء منذ القرون الأولى بالسِّيَاق في التَّفسير عناية كبرى، بسبب حاجة النَّاس إلى تفسير كتاب الله تعالى؛ إذ هناك آياتٌ قد لا يعلم معناها كثيرٌ من النَّاس، وقد يكون ذلك لغرابة اللَّفظ، أو لاشتباه المعنى بغيرهِ، أو لعدم التَّدبُّر التَّامّ، أو لغير ذلك من الأسباب؛ لذلك عنيت أن يكون السِّيَاق محور البحث؛ للكشف عن دلالات الألْفاظ والتَّرَاكِيب في آيات النَّعِيم والثَّوَاب؛ فقد تتبيّن الآية من خلال الزَّمان الذي نزلت فيه، أو مكان نزولها (أمكيَّةٌ أم مدنيَّة) وفيمَن نزلتْ؟ والموقف الذي نزلت فيه، ومَنِ المخاطبون؟ وما الرِّسالة الموجَّهة إليهم؟ ويتَّضح كلُّ هذا من خلال تتبُّع السِّيَاق؛ لفهم المعنى النَّفْسِيّ لآيات النَّعِيم والثَّوَاب.

ومن ثمَّ؛ فقد جاءت خُطَّة البحث في مدخلٍ، ومبحثين، وبدأ المدخل بتناول مفهوم السِّيَاق وأهميته، وأنماطه، ودلالة السِّيَاق القُرْآنِيّ، وعرض المبحث الأوَّل المغايرة بين المفردات، وملاءمة السِّيَاق، وأبرز المبحث الثَّاني السِّيَاق الصَّوتي في آيات الجنَّة والنَّعِيم، وأثره في دلالة المعنى.

وبعدُ؛ فإنَّني آمل أن أكون قد استوفيتُ،بعون الله تعالى، محاور البحث، وعناصره، ووفقت إلى ماسعيت إليه، قدر ما بذلت فيه من جهد ووقتٍ، واللهُ من وراء القصدِ، وهو الهادي إلى سواء السَّبيل.

- **مدْخلٌ :**

- **المـفهُومُ اللُّغوِيُّ:** يعدُّ السِّيَاقُ من المصطلحات العصيَّة على التَّحديد الدَّقيق؛ لذا نبدأ بتعريفه من النَّاحية اللُّغَوِيَّة؛ فهو مصدرٌ من سَاقَ يَسُوقُ سَوقًا، وجاء في لسان العرب "سَاقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقُها سَوقًا، وسِياقًا، وهو سائقٌ، وسوَّاق، شدَّد للمُبالغَةِ، وقوله تعالى : "﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾ (ق)؛ قيل في التَّفسِير :سائِقٌ يسوقُها إلى مَحشَرها، وشَهِيدٌ يَشْهدُ عليها بِعَمَلِها، وقيلَ: الشَّهيدُ هو عملُها نفسُهُ، وأَسَاقَها واستَاقَها فَانسَاقَتْ"[1] ويُقَالُ"تَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ: هُوَ يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَن سِياقٍ، وإليكَ يُساقُ الحَدِيثُ، وَكَلَام مَساقُهُ إلى كَذَا، وجِئْتُك بالحَدِيث على سَوْقِهِ، على سَرْدِه"[2].

ونلاحظ ممَّا سبق أنَّ السِّيَاق يدلُّ على النّظم، والتَّتابع، والسَّير بانتظام، ويوضِّح المفهوم السَّابق المعنى الاصطلاحيَّ؛ كما سيأتي.

- **المفهُومُ الاصطِلَاحِيُّ:** لا نجد له تعريفًا محدَّدًا؛فهو من المصطلحات التي يصعب تحديدها على نحو جامعٍ مانع، فعند المتقدِّمين يُراد به الظُّروف والمواقف التي يصدر فيها الكلام ،ومقصود المخاطِب من خطابهِ؛ كما نجدُ عند السَّرخسيّ: " القرينة التي تقترن باللَّفظ من المتكلِّم، وتكون فرقًا فيما بين النَّصِّ، والظَّاهر، هي السِّيَاق، بمعنى الغرض الذي سِيقَ لأجلِها"[3].

والسِّياقُ عند المعاصرين " بناء نصِّيٌّ كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأيّ جزء من أجزائهِ، أو تلك الأجزاء التي تسبقُ، أو تتلو مباشرة فقرةً، أو كلمة معيَّنة، ودائمًا ما يكون السِّيَاق مجموعَةً من الكلماتِ وثيق التَّرابط، بحيث يلقي الضَّوء لا على معاني الكلماتِ المفردةِ فحسبُ، بل على معنًى وغاية الفِقرة بأكملها"[4].

فالأَلْفاظُ لن تفصحَ عن معناها إلَّا إذا أُخذَ في الاعتبار السِّيَاقُ الذي وردَت فيهِ، وحالة المتكلِّمِ، والمخاطَبِ، ومكانُ التَّكلُّمِ، وزمانُهُ.

"ويعدّ (ڤيرث) رائدَ هذا الاتِّجاه الذي تبلور فيما عرفَ باسم النَّظريَّة السِّيَاقيَّةِ (contextual theory)؛ إذ أكَّد في نظريَّته أنَّ المعنى لا ينكشفُ إلَّا من خلال تسييق الوحدة اللُّغَوِيَّة؛ أي: وضعها في سياقات مختلفةٍ، فالمعنى عنده يفسّر بوصفه وظيفةً في السِّيَاق؛ أي: يتحدَّد معنى الكلمة وَفق السِّيَاقات

التي ترِد فيها، وبذلك تعدُّ نظريَّة السِّيَاق واحدةً من نتائج البحث الدَّلاليّ التي تعدُّ خطوة مهمَّة على طريق المنهج التَّحليليّ للخطابِ، وقد عدّ (ستيفن أولمان) النَّظرية السِّيَاقيَّة التي ساقها (ڤيرث)، إذا طبِّقت بحكمةٍ، حجرَ الأساسِ في علمِ المعنى(5).

وقد التقتْ نظريَّة النَّظم عند عبد القاهر الجرجانيّ مع نظريَّة السِّيَاق عند ڤيرث في تعريف المعنى، فيعرِّف الجرجانيُّ في نظريَّة النَّظم السِّيَاق بأنَّه: " تعليقُ الكَلِمِ بعضِها ببعْضٍ، وجعلُ بَعْضِها بِسبَبٍ من بعضٍ(6) "، ويضيف " اعلم أنْ ليس النَّظم إلَّا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يقتضيهِ علم النَّحو، وتعملُ على قوانينهِ وأصولهِ، وتعرفُ مناهجَهُ التي نُهِجَت فلَا تزيغُ عنها، وتحفظُ الرُّسوم التي رُسمتْ لك؛ فلا تخلّ بشَيءٍ منها"(7)؛ فالرَّابط بين قول ڤيرث والجرجانيّ أنَّه قد تتعدَّد المعاني للفظِ الواحدِ، لكنْ مَا يحدِّد المعنى الأدقّ،هو السِّيَاقُ.

وقد عُني العلماء بنظريَّة السِّيَاق إلى أن صارت عندهم الرُّكْن الرَّئيس في تحليل الخِطابِ، وفهم غرض المتكلِّم من خطابهِ؛ لأنَّ الكلمة إذا تعدَّدت معانيها،تعدَّدتِ احتمالات القَصْد منها، ويقوم السِّيَاق بتحديد الدَّلالة تحديدًا دقيقًا عند وضعها في موقعها داخل التَّركيب اللُّغَويّ؛ وبذلك يرشد السِّيَاق؛ كما يذكرُ ابنُ القيّم، إلى تبيين المجملِ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المرادِ، وتخصيص العام، وتقييد المطلقِ، وتنوُّع الدَّلالةِ، وهذا من أعظم القرائنِ الدَّالَّة على مُرادِ المتكلِّم، فمَن أهملهُ غلطَ في نظرهِ، وغالطَ في مناظرتهِ، فانظُرْ إلى قولهِ تعالَى: " **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾**" **(الدخان)** كيف تجد سياقه يدلُّ على الذَّليل الحقير"(8)؛ لِذا يتضمَّنُ السِّيَاقُ" من القرائن النَّصِّيَّة (اللفْظِيَّة والمعنَوِيَّة) ما يرشد الى المراد من الخطاب وبذلك يكون السِّيَاق اللُّغَويّ نتاجًا طبيعيًّا؛ لترابط الأصوات فيما بينها لتوليد الكلماتِ، والكلمات لتشكيل الجملِ، والجمل؛ لتكوين النَّصِّ وبنائهِ اللُّغَويّ، وبذلك تكون القرائنُ المعتبرة لمعرفة الدَّلالة راجعةً إلى النَّظم والتَّرَاكِيب النَّحويَّة مع اعتبار قواعدِ دلالات الألفاظ، وهذا يعني تماسُك النَّصّ اللُّغَويّ في إطار الدَّلالة"(9).

وقد قسَّم أصحاب نظريَّة السِّيَاقِ (السِّيَاقَ) أربعةَ أنماطٍ؛ هي: السِّيَاقُ اللُّغَويّ، ويكون نتاج استخدام اللَّفظة داخل جملتها عند تسييقها مع ألفاظ أخرى؛ فتكتسب معنًى محدَّدًا بخلاف معناها الـمُعْجَمِيّ؛ لأنَّ المعنى الـمُعْجَمِيّ متعدِّد، لكنَّ السِّيَاق اللُّغَويّ معنًى محدَّد، له دلالةٌ واضحةٌ، لا تحتمل التَّعدُّد والتَّنوُّع"(10).

والسِّيَاق العاطفيُّ هو استعمال الكلمة بحسب دلالتها العَاطِفِيَّة التي تحوّلها من العموم إلى الخصوص " فيحدّد درجة القوَّة والضَّعف في الانفعال وهو ما يقتضي تأكيدًا ،أو مبالغةً، أو اعتدالًا، ويؤثِّر في هذا السِّيَاق مراعاة الحالة الصَّوتيَّة والإشارات المصاحبة للكلام التي تبرز المعاني الانفعاليَّة"[11].

ومن ثَمَّ؛ فالسِّيَاقُ العاطفيُّ هو الذي يحدِّد طبيعة استعمال الكلمةِ، هل هي مستعملة استعمالا موضوعيًّا، أم مستعملة استعمالًا عاطفيًّا؛ فيقول ماييه في هذا الصَّدد: "واللَّفظة بعدُ لا تحمل معنى عقليًّا فحسبُ، بل تحمل، أيضًا، في الغالب لونًا من ألوان الإحساس؛ فكلمة جُنينة ليست حديقةً صغيرة فحسبُ، بل هي حديقة صغيرةٌ لها في النَّفس حنو، وكلمة قصر ليست فقطْ منزلًا واسعًا فحسبُ، بل يُضاف إلى ذلك إعجاب وإحساس تشعر به نحو مقرّ الأمراء[12]".

ويقوم سياق الموقف بمراقبة العلاقات المكانيَّة والزَّمانيَّة التي يحدث فيها الكلام، وهو مصطلح واسعٌ؛كما يرى ڤيرث، لا يقتصر على السِّيَاقات اللُّغَوِيَّة، بل هو حقل من العلاقات، علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع مستعملين في ذلك لغات مختلفة، ومرتبطين بحوادث وأشياء متنوّعة لها اتِّصال وثيق بالمقولة المستعملةِ، وتأثير الحدث اللُّغَوِيّ" [13]؛ لِذا يمكن فهم سياق الموقفِ؛ كما أشار إليه العرب القدامى في قولهم: " لكُلِّ مقامٍ مقَالٌ".

ويهتمُّ السِّيَاق الثَّقافيّ بالمحيط الثَّقافيّ والاجتماعيّ الذي تقال فيه الكلمة، وتؤثّر فيه الطَّبقات الاجتماعيَّة، وفيه " لابدَّ من تحديد نوع المجتمع اللُّغَويّ، الذي تقال فيه الكلمةُ،من حيثُ المهنة، أو درجة الثَّقافة،أو اختلاف اللَّهجاتِ" [14].

ودلالة السِّيَاق القُرْآنِيّ هي دلالة سابق الكلام، ولاحقه على معناه، بغية الوصول إلى المعنى الصَّحيح في القرآن؛ إذْ يجب معرفة الآيات التي تدور حول موضوع واحد، وإن كانت في سورة واحدة يجب معرفة كونها امتدادًا في السُّورة ذاتها أم لا؟ ويجب معرفة زمن نزول الأيات ومكانها (أمكيَّة أم مدنيَّة) ونزلت قبل الهجرة أم بعدها؟ وما أسبابُ نزولها؟ ومَنِ المخاطَبون؟

يقول الشَّاطبيُّ موضِّحًا أهميَّة التَّناغم بين أسباب نزول الآيات والسِّيَاق: "إنَّ المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنَّوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان"[15]؛ فمعرفة أسباب النُّزول من الضَّوابط المعوّل عليها في الفهم.

وعلى هذا يسهم المنهج السِّيَاقيّ في فهم النص فهما متكاملا،يؤدي إلى وضعه في إطاره العام الذي تتجلى في مستوياته اللُّغَوِيَّة المتعددة التي ترشد إلى فهم المراد من النص من خلال من خلال قرائن لفْظِيَّة ومعنَوِيَّة؛ لذا نحاول في هذا البحث أن نتخذ المنهج السِّيَاقيّ وسيلة لفهم آيات النَّعِيم والثَّواب؛ بهدف الكشف عما فيها من وجوه الإعجاز البَيانِيّ والأُسلُوبيّ المتعدّدة ،والمتنوّعة.

المبحثُ الأَوَّلُ: المغايرَةُ بينَ المفْردَاتِ ومُلاءَمةُ السِّيَاقِ:

على الرَّغم من وجود عدد من الآيات التي قد تبدُو لنا متشابهةً في القرآن الكريمِ، فقد ذهَب جُلُّ العلماء إلى أنَّ القرآن الكريم ليس به تكرارٌ، وكلُّ لفظة مقصودةٌ بذاتها وعند وضع لفظة أخرى مكانها لن تؤدِّي دورها.

يغاير القرآن الكريم بين مفرداتهِ في مواضع متشابهة؛ لدواعٍ دلاليَّة يتطلبها السِّيَاق الذي ترد فيه، ويمتزج بها، فالسِّيَاق يؤسّس للدَّلالة، ويكشف عنها؛ فقد يعمد القرآن إلى تغاير المفردات؛ فيستعمل مفردة في موضع، ويستعمل غيرها في موضع آخر مشابه له، بل قد يأتي في الموضوع الواحد بمفردة في موطن، ويأتي بغيرها في موطن آخر، والقرآن حين يعمد إلى هذه المغايرة أو التَّعاور، فإنَّما يعمد إليها ؛لأهداف دلاليَّة يقتضيها السِّيَاق المصاحب لها، لأنَّه هو الذي يفضي إلى استخدام مفردة بعينها دون غيرها؛ لوجود علاقة ما تربط هذه المفردة، وذلك السِّيَاق الملازم لها؛ فالمغايرة هي وضع الكلام موضعه الذي يليق به، ويناسبه؛ ليكتسب دلائل من خلال التَّفاعل بين السَّابق واللَّاحق في إطار السِّيَاق (16).

ونتناول بعض النماذج التي تتجلَّى فيها الملاءَمة بين المفردة والسِّيَاق المصاحب لها، وتمتزج بها، ومالها من أهداف دلاليَّة يقتضيها ذلك السِّيَاق، وما لها من آثار نفسيَّة على المؤمنين؛ ومنها :

- **(جنَّةٌ وجَنَّاتٌ)** بين الإفرادِ والجمع؛ والتَّعريف والتَّنكير؛ إذْ يذكر الله، سبحانه وتعالى، الجنَّة مفردةً أحيانًا في مواضع الثَّوَاب والنَّعِيمِ، وفي مواضع أخر يذكرها جمعًا (جنَّات)، وأحيانًا بالتَّعريف (الجنَّة) وأحيانًا بالتَّنكير (جنَّة)؛ لذا حاولتُ حصْر المواضع القُرْآنِيَّة التي وردت فيها تلك الكلمات، فوجدت أنَّ:
- لفظة " جنَّات " وردت جمعًا في مواضع كثيرة، ولكنَّها لم تأتِ معرفةً بـ "بالألف واللَّام " إلَّا في موضع واحدٍ فحسبُ في قوله تعالى: **" تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ٢٢ۖ "** (الشُّورى)

وبتتبُّع سياق الآية نجدُ أنَّها قد جاءت في موضع مقارنةٍ بين جزاء الظَّالمين وثواب المؤمنين؛ فيقول الله تعالى في الآيتين السَّابقتين لها: **" مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ**

ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١ " (الشُّورى)

فبيَّن الله تعالى الفرق بين مَن يريد الدُّنيا، ومَن يريد الآخرة؛ للتَّرغيب في الآخرة، وخصوصًا أنَّ سورة الشُّورى مكيَّة، فاحتاج المخاطَبون لهذه المقارنة ؛حتَّى يعلموا الفرقَ بين مُريد الدُّن، ومَن يتَّبع الرَّسول ويريد الآخرةَ، ونلاحظُ أنَّ الله، سبحانه وتعالى، قدَّم حرث الدُّنيا على حرث الآخرة؛ ليشعرَ المخاطب بأهميَّة المتقدّم ؛فيحرصُ عليهِ.

ونلاحظُ أيضًا؛ كما ذكر الرَّازيُّ: " أنَّه تعالى قال في طالبِ حرث الآخرة ﴿ **نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ** ﴾ ،ولم يذكر أنه تعالى يعطيه الدُّنيا أم لا، بل بقي الكلام ساكتًا عنه نفيًا، وإثباتًا، وأمَّا طالب حرث الدُّنيا؛ فإنَّه تعالى بيَّن أنَّه لا يعطيه شيئًا من نصيب الآخرة على التَّنصيص؛ ممَّا يدلُّ على التَّفاوت العظيم؛ كأنَّه يقول: الآخرة أصلٌ، والدُّنيا تبعٌ، فواجد الأصل يكون واجدًا للتَّبع بقدر الحاجة، إلَّا أنَّه لم يذكر ذلك تنبيهًا على أنَّ الدُّنيا أخسّ من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة"[17].

ويتَّضح لنا أنَّ الله بعد أن رغَّب النَّاس في الآخرة، وشحذ هممهم لطلبها، بيَّن مصير الظَّالمين، وهو العذاب الأليم، ثم مصير المؤمنين في روضات الجنَّات، ونلاحظُ، هُنا، على نقيض تقديم الآخرة على الدّنيا نجد أنَّ الله، سبحانه وتعالى، قد أَخَّر نعيم المؤمنين؛ بغرض التَّشويق ؛حتَّى تتوق أنفسهم لمعرفة هذا النَّعِيم، ومن خلال السِّيَاق السَّابق للآية ووقت نزولها؛ يتبيَّن أنَّ الجنَّات جاءت بالتَّعريف لشُمول جميع الجنَّات والمؤمنون لهم فيها ما يشاءون، وما هنا لعموم جميع الثَّوَاب لهم، ولم يقل الله الجنات فحسبُ، بل اختار لهم روضات الجنَّاتِ؛ " لأنَّ روضة الجنَّة أطيب بقعة فيها، وفي الآية تنبيه على أنَّ الفسَّاق من أهل الصَّلَاة كلّهم في الجنَّة، إلَّا أنَّه خصَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات بروضات الجنَّات، وهي البقاع الشَّريفة من الجنة، فالبقاع التي دون تلك الرَّوضات لا بد وأن تكون مخصوصةً بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات"[18].

ولتخصيص النَّعِيم للمؤمنين أتبع الله روضات الجنَّاتِ بالضَّمير " **لَهُم**" لتخصيصِ النَّعِيم للمؤمنينَ؛ فقُدم شبه الجملة " **لَهُم** " على المبتدأ " **مَا** " للقصْر والإسراعِ بالبُشرى بتخصيص النَّعِيم لهم، واختتم الآية بقوله : " **ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ** " ليبين لهم أنَّ ذلك النَّعِيم من فضل الله عليهم، وليس مقابل

أعمالهم فقط؛ ليطمعوا في فضل الله ورحمته، وتتحفز نفوسهم للمزيد من فضل الله؛ ففضله ورحمته، سبحانه، ليس لهما حدود ولا انقطاعٌ.

وفي بقيَّة المواضع التي ذُكرت فيها "جنَّات" إمَّا أن تأتي معرفةً بالإضافةِ؛كقولِهِ تعالى: " **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ** ٩ " (يونُس)، أو تأتي مخصصة بوصف وأكثرها الوصف بجريان الأنهار، كقول الله تعالى: " **وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** " (البقرة 25) أو مخصصة بإضافة كقول الله تعالى: " **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ** ٧ **جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ** ٨ " (البيِّنة)، أو تأتي في سياق العطفِ؛كقولِهِ تعالى: "**إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ** ١٧ " (الطّور)

ونلاحظ أنَّه في كلِّ المواضع كان الخطاب للمؤمنين جميعًا، حتَّى عندما جاء الخطاب للمفرد جاء في سياق العمومِ والشُّمول في قوله تعالى: " **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ** ١٣ " (النِّساء) فالشَّرط يشمل جميع المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله، والدَّليل على ذلك الالتفات في الخطاب من الإفراد في قوله تعالى: " **يُطِعِ ٱللَّهَ – يُدۡخِلۡهُ** " إلى الجمع في قوله تعالى: " **خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ** ".

ويتشابه مع هذا الموضع قوله تعالى في سورة الفتح: " **لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا** ١٧(الفتح)

- وتأتي لفظة "جنَّة" حيانًا معرفةً بـ "بالألف واللَّام" لإفادة الجنسِ، وأحيانًا للتَّخصيص لحالة معيَّنةٍ؛ لزيادة الأثر النَّفْسِيّ في قلب المؤمنِ، وإشعاره أنَّ الجنَّة له خاصَّة، ومنهُ قولُهُ تعالى:"**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**١١"(التَّحريم)

هذه امرأة فرعون التي جعلها الله قدوة يحتذي بها المؤمنون، حينما دعت الله، سبحانه وتعالى، أنْ يجعل لها بيتًا في الجنَّة، ذكرت لفظ " الجنة " بالتَّعريف بـ " أل" العهديَّة، وكأنها تعرف الجنة من قبل، أو رأتها من قبل، وتعلم بها علم اليقين، وهذا يدلُّ على الأثر النَّفْسِيّ للإيمان في القلب؛ فعندما آمنت أيقنتْ أنَّ الجنَّة خالصةٌ لها، ونلاحظ أنها لم تطلب أوَّلًا من الله تعالى النَّجاة من فرعون وقومه، ولكنَّها طلبت بيتًا في الجنَّة؛ ليقينها الرَّاسخ بنعيم الجنَّة التي أعدَّها الله للمؤمنين.

فقد طلبت القرب من رحمة الله ، كما ذكر الرَّازيُّ، ثمَّ بينت مكان القرب بقولها: (في الجنَّةِ) أو أرادت ارتفاع درجتها في جنة المأوى التي هي أقرب إلى العرشِ [19].

نستنتج ممَّا سبق أنَّ القرآن الكريم استخدم جميع وسائل التَّرغيب في الجنَّات، فأتى بها في سياق الجمعِ، والمفرد، والتَّعريف، والتَّنكير، أو تخصيصها بوصفٍ، أو إضافةٍ؛ ويضفي هذا التَّنوُّع والتَّعدُّد أثرًا كبيرًا في نفوس المؤمنين بتحقيق أملهم في الوصول لتلك الجنَّات، فكلَّما زاد الشَّيء وتنوّع؛ سهُل الوصول إليه ، وزادت الرَّغبة فيه.

ومن النَّماذج الدَّالَّة التي اقتضاها السِّيَاق،وبرزت آثارها النَّفْسِيَّة لفظتا: (فاكهة، وفواكه)؛ إذ تأتي لفظة فاكهة أحيانًا؛ لإفادة كلّ الأنواعِ، أو للتَّخصيص لنوع معيَّن؛ فالفاكهة تطلق على المفرد، والمثنَّى،والجمع، والصّنف الواحد والمتنوع، أما" فواكه " فتطلق على أكثر من صنف؛ ونستنتج من ذلك أنَّ"فاكهه" أعمُّ من "فواكه " "في الدَّلالة؛ لهذا جاء في القرآن الكريم في مواضع ذكر الجنَّة والنَّعِيم ذكر الفاكهة أكثر من " فواكه " في حينِ أنَّ لفظة " فواكه " لم تأتِ إلَّا في موضعين فحسبُ من سورتي (الصَّافات 42، والمرسلات 42) فلمَ ذُكرت الفواكه في هذين الموضعين؟

- **الموضِعُ الأوَّل: " وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٩۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١۝ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣۝ "(الصَّافات)**
- **الموضِعُ الثَّاني: " إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ٤١۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٤٢۝ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ٤٤۝ "(المرسلَات)**

ويتَّضح في الموضعين أنَّ الخطاب من اللهِ، سبحانه وتعالى، وكان المخاطبون في الموضع الأوَّل هم المخلَصون، وفي الموضع الثَّاني هم المتَّقون المحسنون، ولما كان الخطاب للمخلَصين بفتح اللَّام، أي الذين أخلصهم الله واصطفاهم[20]،والمحسنين؛ والإحسان أعلى درجات الإيمان، عدل القرآن عن

المفرد (فاكهة)إلى الجمعِ (فواكه)؛فالجمعُ، هُنا، يدلُّ على زيادة النَّعِيم لهؤلاء العباد؛ فكما قلنا من قبل لفظة فاكهة أعمّ من فواكه لاشتمالها على القليل والكثير، ولكن فواكه مقيَّدة بالكثرة فحسبُ؛ ولما كان هؤلاء العباد مخلصين لله، ومحسنين، قيد الله لهم كثرة النَّعِيم بلفظة (فواكه)؛ ليختصهم بهذا الجمع.

ويتَّضح ممَّا سبقَ قوَّة الفعل التَّأثيريّ على المؤمنين بالإسراع في الصَّالحات؛للوصول إلى منزلةِ الإخلاص، والإحسان؛ للظُّفر بالجنَّة ونعيمها.

وتتعدّد النَّماذج التي يتطلبها السِّيَاقُ؛ بغية التأثير النَّفْسِيّ على المؤمنين؛ ومنها (السَّماء والسَّماوات)؛ فقد جاء وصف الجنَّة في سورة آل عِمران بأنَّ عرضَها السَّماوات والأرض في قوله تعالى: **" وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣** (آل عمران).

وجاء وصفُها بأنَّ عرضها السَّماء والأرض في سورة الحديدِ،أيضًا،في قوله تعالى:" **سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١** " (الحديد)

وعلى الرَّغم من تشابه الموضعين، فإنَّ السماوات جاءتْ جمعًا في (آل عمران)، وجاءت بالإفراد في (الحديد)، وجاء التَّشبيه في (آل عمران) محذوفَ الأداة، وفي سورة (الحديد) بأداة تشبيه، وجاء الأمر في (آل عمران) بـ " وَسَارِعُوٓاْ " وفي سورة (الحديد) الأمر بـ " سَابِقُوٓاْ ".

وبالنَّظر إلى سياق الآيتين نجد أنَّ آية آل عمران خُتمت بقوله تعالى " أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ " وفي آية الحديد قال:**" أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ"**،وقد جاءتِ السَّماوات، والتَّشبيه المؤكّد مع المتَّقين، بيد أنَّ إفراد السَّماء والتَّشبيه المرسل جاء مع المؤمنين، وذلك لأنَّ المتَّقين أعلى درجةً من المؤمنين؛ ولذلك يقول النِّيسابوريُّ: "هاهُنا قال:" **أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ"**، ولأنَّ هؤلاء أدون حالًا من أولئك، جعل عرض الجنَّة هُنا أقلّ؛ فقال وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ؛ فلم يجمع السَّماء وأدخل حرف التَّشبيه الدَّالّ على أنّ المشبّه أدون حالًا منَ المشبه به، وفي لفظ **(سابِقُوا)** هاهُنا إشارة إلى أنَّ مراتب هؤلاء مختلفة بعضها أسبق من بعض كالمسابقة في الخيل، وفي لفظ (سارِعُوا) هنالك رمز إلى أن كلهم مستوون في القرب، أو متقاربون؛ لأنَّ المرتبة العُليا واحدةٌ؛ وهي مرتبة السَّابقين المقرَّبين، وأنها غاية الرّتب الإنسانيَّة؛ فافهم هذه الأسرار فإنَّ ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء "[21].

ومن ثَمَّ؛ يتجلَّى دور السِّيَاق في الكشف عن المعنى النَّفْسِيّ في الموضعين، فالمؤمنون يودون الوصول إلى منزلة المتَّقين؛ حتَّى يكونوا في المنزلة العُليا يوم القيامة ويفوزوا بجنَّةٍ عرضها السَّماوات والأرض، كما يعطي الله، سبحانه وتعالى، أملًا للمؤمنين بدخول الجنَّة بمجرَّد الإيمان بالله ورسلهِ،كما في سورة الحديد: " **أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ**"؛ ولذلك يقول الرَّازيُّ: " فيه أعظم رجاءٍ وأقوى أملٍ؛ إذ ذكر أنَّ الجنَّة أعدَّت لمن آمنَ بالله ورسلهِ، ولم يذكرْ مع الإيمان شيئًا آخرَ"[22].

وهُنا تتجلَّى رحمة الله بعباده فهُناكَ جنَّة عرضها السَّماء والأرض لمن آمن بالله ورسلهِ، وهناك جنَّة عرضها السَّماوات والأرض لمن أراد الاجتهادَ والوصول إلى مرتبة المتَّقينَ.

ونلاحظُ في الفعلين" سارعُوا – سابقُوا " السِّيَاق قبل آية آل عمران " **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢** " أنَّ هناك تشريعًا ونهيًا عن ارتكاب إثم عظيم، وهو الرّبا، ودعوة للتقوى، ونلاحظ العطف بالواو، ثمَّ "**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** "، وقدجاءت الآية في إطار العطفِ، في حين جاء السِّيَاق قبل الآية الأخرى في سورة الحديدِ " **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ٢٠** " وهنا نوع من الإيضاح والشَّرح لقضية معيَّنة ليس فيها نهيٌ، أو أمر كموضع آل عمران؛ فجاءت (**سابِقُوا**) من غير الواو، وجاءت (**وَسَارِعُوٓاْ**) جاءت بعد النَّهي عن الرّبا، وكان كثير من المسلمين يتعاملون بالرّبا قبل تحريمهِ؛ فلمَّا جاء التَّحريم؛ طلب منهم أن يسارعوا إلى مغفرةٍ، بالتَّوبة والتَّوبة شخصيَّة؛فجاءت كلمة سارعوا؛ إذ ليسَ هُناك مجالٌ للمسابقة مع الآخر؛ فالحديث عن الرّبا والرّبا الشَّخصيّ، أما (سابقوا) فالحديث عن الدُّنيا، والدُّنيا فيها منافساتٌ، وتنافسٌ، ولعبٌ، ولهو فيه الفخر؛ فأراد الله تعالى أن يعلِّمهم أنَّ التَّسابق يكون في الخيرات[23]؛ وهو أن يتسابقوا إلى مغفرة من ربّهم، ويتسابقوا للفوز بجنَّةٍ عرضها كعرض السَّماء والأرض، فذلك هو الفوز العظيم.

- **ومن النَّماذج التي تتجلَّى فيها دلالة السِّيَاقِ** في فهم المعنى النَّفْسِيّ ،قولهُ تعالى:" **جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ** " و"**جَنَّـٰت تَجْرِى مِن تَحْتَهَم ٱلْأَنْهَـٰرُ**"؛ فيُلاحظ في آيات وصف الجنَّة والنَّعِيم أن معظم الآيات التي أخبرت عن الجنة قال الله تعالى فيها: " **جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ** " والضمير في " **تَحْتِهَا** " يعود على الجنة، إلا في ثلاثة مواضع جاءت بقوله تعالى: "

جَنَّـٰتٍ تَجۡرِی مِن تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ " والضمير في " **تَحۡتِهَم** " يعود على المؤمنين، وذلك في في سُور: (الأعراف – يونُس – الكَهْف).

وإذا تتبَّعنا السِّيَاق في الآيات التي جاء فيها قول الله تعالى : " **جَنَّـٰتٌ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ** "؛ **نجد** أن التركيز في الوصف جاء على الجنَّات؛ حيث يقدم الله البُشرى للمؤمنين ،ثم يأتي وصف الجنات لهم؛ تشويقًا، وترغيبًا في عمل الخيرات التي تؤهلهم لذلك النَّعِيم، ونذكر من هذا مثلا قوله تعالى : " ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّـٰتِ عَدۡنٍۚ وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ** ٧٢﴾﴾ (التَّوبة)؛ فقد جاء الوعد للمؤمنين بالنَّعِيم في قوله تعالى: " **جَنَّـٰتٍ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّـٰتِ عَدۡنٍۚ وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ** " فوُصفت الجنات بجريان الأنهار من تحتها؛ لأن الحديث عنها، ودعم ذلك قول الله تعالى بعدها: " **وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّـٰتِ عَدۡنٍ** " فوُصفت المساكن الطيِّبة بوجودها في جنَّات عدن؛ لتركيز الوصف على الجنَّات.

أما قوله تعالى : " **جَنَّـٰتٍ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهَم ٱلۡأَنۡهَـٰرُ** " **فلم** يأتِ إلا في ثلاثة مواضع في سياق آيات النَّعِيم والثَّواب نذكرها في الآتي:

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ٤٢ ونَزَعۡنَا مَا فِی صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِیَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ (الأعراف)

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمۡۖ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرُ فِی جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَـٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ١٠ (يونس)

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّـٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١ (الكهف).

ونلاحظ أنَّ الخطاب في المواضع الثَّلاثة من الله للذين آمنوا، وعملوا الصَّالحات، والسُّور الثَّلاث مكّيَّةٌ؛ إذ كان المؤمنون حديثي عهدٍ بالإسلام؛ فاحتاج الخطاب أن يشتمل على تخصيص لهم بالجزاء والثَّواب؛ تحفيزًا ،وترغيبًا لهم في الإيمانِ، والعمل الصَّالح؛ فجاء قوله تعالى : " **جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** " بدلًا من " **جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** "؛ بتخصيص جريان الأنهار لهم، فالتَّركيز في الخطاب على الذين آمنوا، والدَّليل على ذلك الالتفات بالخطاب إليهم في سُورتي: الأعراف، ويونُس، ففي سورة الأعراف قالُوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، فقد حمدوا الله على نعمة الإيمان والنَّعِيم المصاحب له، وفي سورة يونس نجد أنَّهم حمدوا الله، أيضًا، في قوله تعالى: " **وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** "، واشتملت في سورة الكهف؛ على ضمائر تفيد التَّركيز على المؤمنين أنفسهم، بعد تخصيص جريان الأنهار لهم، ونجد ذلك في (**يُحَلَّوۡنَ** – **وَيَلۡبَسُونَ** – **مُتَّكِـِٔينَ**) فواو الجماعة تعود على المؤمنين، وكذلك الضَّمير المستتر بعد متكئين، كلّ ذلك يدلُّ على التركيز في الخطاب على المؤمنين؛ وهو ما أعطاهم الأمل والثّقة والرغبة في زيادة إيمانهم، والعمل الصَّالح.

ويؤكّد ذلك ورود الأفعال الإنجازيَّة في المواضع الثَّلاثة التي تنوَّعت بين الإخبار، والإفصاح، والوعد للمؤمنين، ففي سورة (الأعراف) في قوله تعالى: " **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴿٤٢﴾ " اشتملت على أفعال إنجازيَّة متمثِّلة في الإخبار عن تملك المؤمنين للجنَّة بالخبرِ الجملة الاسميَّة في قوله تعالى:"أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ" ونلاحظ القصر بتعريف ركني الجملة (أُوْلَٰٓئِكَ- أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ) لتخصيص الجنَّة لهم، ثمَّ دعم ذلك القصرُ، أيضًا، بعدها في قوله: "هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ" فُقدم شبه الجملة" فيها"؛ لتخصيص الجنة لهم ،وأُخِّر الخبر " خَٰلِدُونَ" للتَّشويق للنَّعيم المنتظر بالخلود الدَّائم في تلك الجنَّة.

ثمَّ جاء في الآية التَّالية في قوله تعالى: " **وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴿٤٣﴾ " (الأعراف) عدد من الأفعال الإنجازيَّة كالوعد بالأخوَّة الدَّائمة بين المؤمنين في قوله تعالى: " **وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ** " فهم دائمًا إخوةٌ متحابون، وجاءت "ما" لإفادة عموم التَّنقية لصدور المؤمنين؛ فلم يتبقَّ غل في صدورهم كما قد يحدث في الدُّنيا؛لأنَّ الآيات نزلت في مكَّة ؛حيث العصبيَّة القبليَّة،والجاهليَّة المتشدِّدة؛ فوعد الله المؤمنين بإزالة ذلك الحقد والغلّ، ثمَّ جاء الوعد بتخصيص الجنات وجريان أنهارها لهم في

قوله " تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ " وأكَّد هذا التَّخصيص بأسلوب القصر بتقديم شبه الجملة " **مِن تَحۡتِهِمُ** " على الفاعل " **ٱلۡأَنۡهَٰرُ** " ليس في هذا الموضع فحسبُ، بل جاء في سورتي (يونس والكهف) أيضًا.

ونستنتج ممَّا سبق أنَّ السِّيَاق القُرْآنِيّ يراعي الحالة النَّفْسِيَّة للمخاطَبين ؛ ليشعرَهم بالاهتمام؛ ليستميل قلوبهم للإيمانِ، والعمل الصَّالح.

المبحثُ الثَّاني: السِّيَاق الصَّوتيّ في آيات الجنَّة والنَّعِيم، وأثره في دلالة المعنى.

لا شكَّ أنَّ للأنماط الصَّوتيَّة في آي القرآن، أثرًا كبيرا في فهم المعنى، والكشف عنه ؛ فالقرآن الكريم لا يختار إلَّا المفردات التي توحي بمعنى الكلمةِ، ودلالتها للمتأمِّلين فيه بدقَّة، على أنَّ جماليَّةَ التَّصوير بالصَّوت في المفردة القُرْآنِيَّة لا تراعي تجسيم المعاني فحسب، وإنَّما تراعي، أيضًا، تمام المراعاة، ما للفظ من خصائص صوتيَّةٍ، تتلاءم مع السِّيَاق الوارد فيه؛ إذ يفضي السِّيَاق إلى استخدام لفظة بتشكيل صوتيّ معين دون غيرها؛ لوجود علاقة وثيقة ما بين هذه اللَّفظة وذلك السِّيَاق، فإذا كان السِّيَاق للتَّفخيمِ، أو للتَّهويل كان في ألفاظه من المقاطع الصَّوتيَّة، ما يدلَّ على ذلك، كزيادة صوتٍ، أو تفخيمه، أو كان يدلُّ على التَّمهُّل، والصَّبر، والتَّباطؤ كانت الأَلْفاظ توالى فيها السّواكن، والحركات إلى آخر ذلك من صفات صوتيَّة تشيع في النَّفس إحساسًا عاطفيًّا معينًا، يتحقق من تداخُل الكلمات صوتًا، وإحساسًا؛ الأمر الذي يدلُّ على الوشائج القويَّة القائمة بين الصَّوت،والمعنى في النَّفس[24].

لذلك يجب علينا دراسة اللَّفظة جيّدًا من حيث التَّفخيمُ، والتَّرقيق، والجهر، والهمس، والشِّدَّة ،والرَّخاوة، والتَّكرار، وهكذا.

ويظهر ذلك في آيات وصف الجنَّةِ، والنَّعِيم ومنها لفظتي: "جَنَّة،وجَنَّات"، نلاحظ فيهما التَّضعيف على النُّون المرقَّقة؛ وهو ما يعطي غنَّة على النُّون بمقدار حركتينِ؛ وهوما يساعد القارئ على التَّخيُّل والتَّفكُّر في السَّبيل؛ للوصول إليهما، فكلَّما وقفت على نونها، دعا الله بالوصول إليها، والحصول عليها، فكأنَّ الوقف عليها متعة للقارئ، وجاءت جميع حروف "جَنَّة وجَنَّات" جميعها مرقَّقة؛ وهو ما يوحي برقَّة النَّعِيم الذي سيحصل عليه المؤمنون.

ومنها لفظةُ " مُدْهَامَّتَانِ " في سورة الرَّحمن في قوله تعالى: **"وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ " (الرحمن).**

وعند تأمُّل هذه اللَّفظة في سياقها، نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكَرَها وصفًا للجنَّتينِ، " ومدهامَّتان من الدَّهمة، وهي في الأصل؛ على ما قال الرَّاغبُ، سواد الليل ويعبر بها عن سواد الفرسِ، وقد يعبِّر بها عن الخضرة الكاملة، اللَّون كما يعبّر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة؛ وذلك لتقاربهما في اللَّون، ويقال: ادهامَّ ادهيمامًا؛ فهو مدهامّ على وزن مُفعال، إذا اسودَّ، أو اشتدَّت خضرته، وفسَّرها هُنا ابن عبَّاس بـ (خضراوان) "[25].

ولا شكَّ أنَّ التَّشديد على الميم والمدّ الكلمي اللَّازم المثقل؛ يُوحي بشدَّة الخضرة التي أدت لذلك السَّواد، وقد تكوَّنت اللَّفظة من خمسة مقاطع (مدْ – هامْ – مَ - تا - نِ) وطول المقطعِ مع المدِّ الذي جاء مرَّتين يوحي بكثرة الخضرة في الجنَّة ،وتعدُّدها مع ارتفاع أشجارها ونخيلها؛ وهو ما تستلذُّ به الأعين وتحبُّه.

وجاءت لفظة " **نَضَّاخَتَانِ** " في السِّيَاق نفسهِ في وصف الجنَّتين المشار إليهما في الموضع السَّابق في قوله تعالى: " فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦ " (الرَّحمن).

ويعني ذلك أنَّ في الجنَّتين المذكورتين عينين فوَّارتين.جاريتين تنضحان بالمسك والعنبر والخير والبركةِ، والنَّضخ في اللُّغةِ، بالخاء المعجمة أكثر منهُ بالمهملة؛" لأنَّ بالحاء الرَّش، وبالخاء المعجمة فوران الماء"[26].

ويقول البغويُّ في ذلك : " فوَّارتان بالماء لا تنقطعان. "والنَّضخ": فوَّران الماء من العين، قال ابن عبَّاس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أَنَس بن مالكٍ: تنضخان بالمسكِ والعنبر في دور أهل الجنَّةِ كطشِّ المطرِ"[27].

ويتَّضح لنا أنَّ نضخ الماء أقوى من نضح الماء، ودلَّ على ذلك حرف الخاء المفخَّم، وأشدّ ما يكون تفخيمًا عندما يكون مفتوحًا كما في الآية، كما أنَّ حرف الضَّادّ المفخَّم يوحي بكثرة الماء وشدَّة فورانهِ.

و تتكون لفظة "نضَّاختانِ"، من خمسة مقاطع مثلها مثل لفظة "**مُدْهَآمَّتَانِ**"، (نضْ – ضا – خَـ - تا – نِ) وهذا التَّعدُّد يُوحي بكثرة الماء وشدَّته، فالإنسان في الدُّنيا يستمتع بمنظر الخضرة، والنَّوافير التي صنعها البشر، فما بالُنا إن كان هذا المنظر البديع من صنع الله تعالى في الجنَّات؟!

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ سورة الرَّحمن اشتملت على أربع جنَّات، فإذا كان هذا الوصف الدَّقيق الممتع في الجنَّتين الدّنيين ؛فكيف الحال في الجنَّتينِ العُليينِ؟!

" مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ١٥ " (محمد)

نلاحظ في هذه الآية الكريمةِ ذكر كلمة " **أَنْهَـٰر** " أربع مرَّاتٍ، وهي الآية الوحيدة التي ذُكر فيها تفصيل لأنهار الجنَّة بهذا الشكل، وقد آثر القرآن ذكر صوت الأنهار أربع مرَّات عن التَّعويض عنها بالضَّمير؛ ليأنس المؤمن، ويستبشر في كلِّ مرَّة ينطق بها، وقد تكرَّر الصَّوت القُرْآنِيّ " **أَنْهَـٰرٌ** " في كلِّ موضع من المواضع الأربعةِ؛ لتتوزَّع الأنهار إلى جزئِيَّات تتباين في وصفِها، وتتنوَّع في محتواها، وهو ما يعطي المؤمن خياراتٍ عديدة للنَّعيم الذي ينتظره؛ فيزداد شوقه، وتعلُّقه بالجنَّة.

ونلاحظ من السِّيَاق التَّأكيد على نقاء الأنهار وصفائها، فوُصف الماء بأنَّه غير آسنٍ " أي غير متغيّر الطَّعم والرِّيح؛ لطول مكث ونحوهُ"[28]، ووُصف اللَّبن بأنَّه لم يتغيَّر طعمه" أي لم يحمضْ، ولم يصر قارصًا، ولا حاذرًا كألبان الدُّنيا، وتغيُّر الرّيح لا يفارق تغيُّر الطَّعم"[29]، ووُصف العسل بأنَّه مُصفًّى" وفيها أنهارٌ من عسل قد صفّي من القَذى، وما يكون في عسل أهل الدُّنيا قبل التَّصفية، إنَّما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنَّه مصفًّى؛ لأنَّه خلق في الأنهار ابتداء سائلًا جاريًا سيل الماء واللّبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفًّى، قد صفَّاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدُّنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلَّا بعد التَّصفية؛ لأنَّه كان في شمع فصفّي منهُ"[30].

وفي تناغُم بديع يجمع بين قوة المعنى، وجمال اللَّفظ، تتجلَّى الآية الكريمةُ" ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة التَّوبة)؛ لتخلد ذكر السَّابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، مبشّرةً إيَّاهم بجنَّات النَّعِيم؛ وفيها تتداخل الأصوات؛ لتنسج لحنًا مؤثّرًا يلامس شغاف القلب؛ فمن همس السّين في "السَّابِقُونَ" الذي يوحي بالمسارعة والتَّقدّم، إلى مدِّ الألف في "الْأَوَّلُونَ" الذي يبرز رفعة الشَّأن، يتردّد صدى فضلهم في الآفاق، ثمَّ يجيء رنين الميم مع الغنَّة في "الْمُهَاجِرِينَ"،ووقار الراء المفخمة في "الْأَنْصَارِ" ؛ ليوقّر في النَّفس مكانتهم السَّامية، وبسلاسة اللَّام في "وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم"، وهمس التَّاء المشددة، يتجسَّد حرص التَّابعين على الاقتداء بإحسان، ويتجلَّى الرِّضا الإلهيّ في قوَّة الرَّاء المفخَّمة في "رَّضِيَ اللَّهُ" و"وَرَضُوا"، ليملأ القلب سكينةً وطمأنينة.

أمَّا وصف الجنَّات بـ "جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ"؛ فيتنوَّع بين رقَّة الجيم والنُّون ،وغنَّة الميم في "جَنَّاتٍ"، وجريان الرَّاء المفخَّمة في "تَجْرِي"، ورنين النُّون والرَّاء في "الْأَنْهَارُ"؛ ليصوّر جمال النَّعِيم وتدفُّقه، ويأتي التَّأكيد على الخلود بمدِّ الألف في "خَالِدِينَ"، و "أَبَدًا"؛ ليمنح شعورًا بالاستقرار

السَّرمديّ، وفي الختام، يتردَّد صدى الفخامة والعظمة في "ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"؛ إذ تبرز العين والظَّاء المفخَّمتان قيمة هذا الجزاء الأوفى، إنَّ هذا التَّناغم الصَّوتي العجيب، بتنوُّعه بين الهمس والجهرِ، والتَّرقيق والتَّفخيم، والمدّ والغنَّة، يهيئ نفس المؤمن؛ لتصوّر عظمة هذا الفضل الإلهيّ، ويزيد من شوقه إلى هذا الفوز العظيمِ.

وفي سياق بديع يبرز عدل المولى وجزاؤه، تتجلَّى الآية الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾ (الشورى) بروعة صوتيَّة تعمِّق المعنى النَّفْسِيّ، وتوقظ في المؤمن الشّوق إلى النَّعِيم؛ فبعد تصوير حال الظَّالمين المشفقين، يأتي قولهُ تعالى؛ ليترنَّم لحن الرَّجاء واليقين، ففي وصف أعمالهم بـ "الصَّالِحَاتِ"، يتردَّد صدى اللَّام والألف المرقَّقتينِ؛ ليضفي على هذا الجمع المبارك من الأعمال ليونة وجمالًا، مؤكّدًا كثرة الخير وتنوعه.

أمَّا مقامهم في "رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ"، فتنوّع الأصوات بين الرَّاء المفخَّمة والواو والضاد المرقَّقتين في "رَوْضَاتِ"، ورنين الجيم والنون مع الغنَّة في "الْجَنَّاتِ"، يرسم صورةً حيَّة لرياض النَّعِيم المتعدِّدة والمتفتِّحة، مكرّرًا بذلك معنى الوفرة والجمال، ويبلغ التَّأكيد أوجه في قوله "لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ"، حيث يتردَّد رنين الميم مع الغنَّة؛ ليؤكد شموليَّة العطاء ،وتحقّق كلّ أمنيَّة، وتأتي انسيابيَّة الياء والشّين في "يَشَاءُونَ"؛ لتصوّر سهولة تحقيق تلك المشيئات ويسرها، مقرونة بالقرب من المولى في "عِندَ رَبِّهِمْ"، الذي يبعث في النَّفس شعورًا بالأمان ،والرضا المطلق.

ويختتم المشهد بالإعلانِ الجازم "ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"؛ إذ تبرز فخامة العين والظَّاء في "الْكَبِيرُ" ؛لتؤكّد عظمة هذا العطاء وتميّزه، مرسّخةً في قلب المؤمن يقينًا لا يزول؛ بأنَّ هذا هو الجزاء الأسمى، والفضل الذي لا يُضاهى، إنَّ هذا التَّناغم الصَّوتي الدَّقيق، مع تأكيداته المتكرّرة على كثرة النَّعِيم وشموليَّته ،وقيمته العظيمة، يهيّئ النَّفس المؤمنة؛ لترقّب هذا الفضل الكبير والسَّعي لنيله بالثَّبات على الإيمان، والاجتهاد في الصَّالحات.

استنتاجًا ممَّا سبق، يتَّضح جليًّا، أنَّ المولى قد تفضَّل على عباده المؤمنينَ، بمنحهم صُنوفًا شتى من النَّعِيم المقيم في الآخرة؛ تجسيدًا لرحمته الواسعة و،كرمِه الذي لا يحيط به الوصفُ، هذا التنوّع الثّري في مظاهر النَّعِيم، من الأنهار الجارية بأنواع الشَّراب الطّهور إلى الرَّوضات الوارفة الظِّلال؛ يضفي على قلوب المؤمنين سعادة غامرة واطمئنانًا عميقًا؛ إذ يجدون في هذا الجزاء الأوفى تحقيقًا لأسمى تطلُّعاتهم وراحة أبديَّة من عناء الدُّنيا ومشقَّتها.

ويتجلَّى كرم الله بشكلٍ خاصٍّ في تعويض المؤمنين عمَّا حرموا أنفسهم منه في الحياة الدُّنيا امتثالًا لأوامره ،وابتغاء لمرضاتهِ؛ فكم من لذائذ دنيويَّة زهد فيها المؤمنون تقرُّبًا إلى الله؛ ليجازيهم سبحانه وتعالى بأفضل وأجلّ منها في دار الخلد، فمثلًا، تحريم الخمر في الدُّنيا لما فيه من مفاسدَ، يقابله في الجنَّة أنهار من خمر لذيذٍ لا يشبه خمر الدُّنيا في شيء، بل هو خالصٌ من كلِّ أذًى ومُسكرٍ، وهو ما يترك أثرًا نفسيًّا عظيمًا في نفوس المؤمنين، ويزيدهم بغضًا لما تركوه في الدُّنيا من المحرَّمات، وشكرًا وامتنانًا لله على هذا العوض الكريم والنَّعِيم السَّرمدِيّ الذي لا يزول؛ إنَّ هذا الوعد الحقّ بالنَّعِيم المتنوِّع، والخالد يهيّئ المؤمن نفسِيًّا ؛لاستقبال الآخرة بقلب مطمئنٍ وروح راضيةٍ، مدركًا أنَّ كلَّ ما بذله في سبيل الله لم يذهب سُدًى، وأنَّ الجزاء الإلهيّ يفوق كلَّ تصوُّر بشريٍّ؛ هذا الإدراك العميق، يعزِّز من إيمانهم، ويزيد من حرصهم على الاستقامةِ، والعمل الصَّالح في حياتهم الدُّنيا؛ ترقبًا لهذا الفضل العظيم الذي لا ينفد.

- الخاتمة:

أهمُّ النَّتائج التي توصَّل إليها البحثُ:

1- يشكل السياق أثرا كبيرا في الكشفِ عن المعنى المرادِ؛ وهو ما يعطى أثرًا نفسيًّا إيجابيًّا للمؤمنين بخصوصِ النَّعِيم والثَّوَابِ.

2- لم تأتِ لفظة "جنَّات" إلَّا في خطاب المؤمنين جميعًا.

3- تؤدِّي كلُّ لفظة المعنى المراد في موضعِها، ولن تؤدي أية لفظة أخرى ترادفها دورها ، إذا وضعت مكانها.

4- يُراعي القرآن الكريم حال المخاطب؛ كما لاحظنا عند خطاب أهل مكَّة؛ فقد جاء الخطاب بأفضل النَّعِيم " روضات الجنَّات " لتحفيزهم.

5- يؤدي السياق الصوتي دورا فاعلا في إيصال المعنى للقارئ من خلال ما يقرؤهُ وينطقهُ.

6- جاءت لفظة فاكهة أكثر من فواكهَ؛ لأنَّها أعمُّ وأشملُ، وتدلُّ على المفردِ، والمثنَّى والجمع، لكنَّ فواكه جاءت في موضعينِ فحسْبُ لحالات خاصَّةٍ.

7- أبرزَ التَّنوُّع في وصف أنهار الجنَّة للمؤمنين تعدُّد النَّعِيم الإلهيّ؛ وهو ما يُعطي أثرًا نفسيًّا إيجابيًّا في صدور المؤمنينَ.

- الهوامشُ:

(1) ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ(ت911هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م: 166/10.
(2) الزَّمخشريُّ، محمود بن عمر(ت 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م ، 484/1.
(3) السَّرخسِيّ، أبوبكر محمد، أصول السَّرخسيّ، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1993م، ص: 164.
(4) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبيَّة، ط1، دار شرقيَّات للنشر، القاهرة، 2000 م، ص: 201.
(5) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب،بيروت، 1998م:ص 69.
(6) الجرجانيّ، عبد القاهر(ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رشيد رضا،ط1، دار المعرفة، بيروت، 1998م: ص 15.
(7) السّابق:ص70.
(8) ابن القيّم،، بدائع الفوائد، مكتبة الصفّ، القاهرة، ط 1، 2005م، 8/4.
(9) ينظر، أحمد مختار عمر،علم الدلالة، ط5، عالم الكتب،1998م: ص 70.
(10) جدوع، عزة محمد، البلاغة في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، ط3، مكتبة المتنبّي للنَّشر والتَّوزيع، السُّعوديَّة، 2020م: ص136.
(11) يُنظر: عمر، أحمد مختار علم الدلالة: ص 70.
(12) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبيَّة: ص70، 71.
(13) حسَّان، تمَّام، الأصول، ط1، دار الثَّقافة، الدار البيضاء، 2009م:ص33.
(14)عبد الجليل، عبد القادر علم اللِّسانيَّات الحديثة،ط1، دار الصفاءِ، عمَّان، 2002م: ص551.
(15) الشَّاطبيّ، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن، ط1، دار ابن عفَّان، 1997م: 4/ 266.
(16) جدوع، عزة محمد، البلاغة في القرآن الكريم والسُّنة النبويَّة: ص 78، 79.
(17) يُنظرُ، الرازيّ، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت(د.ت):27/ 591.
(18) السّابق:27/ 593.
(19) السّابق:30/ 575.
(20) المخلَصون من العباد هم المصطفون الأخيار، ألم ترَ استثناء إبليس لهم من الغواية والوسوسة في قوله تعالى: **" قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ " (الحجر)**، يقول الرازي: " اعلم أن إبليس استثنى المخلصين، لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم، ولا يقبلون منه ". الرازي، مفاتيح الغيب:19 /144.
(21) النّيسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م:ص258.
(22) الرازيّ، مفاتيح الغيب: 29/ 465.

(23) يقول الرازيُّ: "والمراد كأنَّه تعالى قال: لتكنْ مفاخرتُكُم ومكاثرتُكم في غير ما أنتم عليهِ، بل احرصُوا على أن تكونَ مسابقتُكم في طلبِ الآخرةِ ". الرازيّ، مفاتيح الغيب: 29/ 464.
(24)جدوع، عزة محمد، البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية: ص 83، 84.
(25) الألوسيّ، روح المعاني،ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1994م: 120/14.
(26) القنوجيّ، أبو الطيب، فتح البيان في مقاصد القرآن،ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنَّشرِ، بيروت، 1992م: 346/13.
(27) البغويّ، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: عثمان جمعة وسليمان الحرش،ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م: 457/4.
(28) الألوسيّ، روح المعاني: 204/12.
(29) نفسه.
(30)الطبريّ، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآنِ،ط1، دار التَّربية والتُّراثِ،مكَّة المكرمة، د.ت: 22/ 168.

قائِمَة المصادر والمراجِع:

1- الألوسيّ، روح المعاني،ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1994م.
2- البغويّ، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: عثمان جمعة وسليمان الحرش،ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
3- جدوع، عزة محمد، البلاغة في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، ط3، مكتبة المتنبّي للنَّشر والتَّوزيع، السُّعوديَّة، 2020م.
4- الجرجانيّ، عبد القاهر(ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رشيد رضا،ط1، دار المعرفة، بيروت، 1998م.
5- حسَّان، تمَّام، الأصول،ط1، دار الثَّقافة، الدار البيضاء، 2009م.
6- الرازيّ، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت(د.ت).
7- الزَّمخشريُّ، محمود بن عمر(ت 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
8- السَّرخسِيّ، أبوبكر محمد، أصول السَّرخسيّ، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1993م.
9- الشَّاطبيّ، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن،ط1، دار ابن عفَّان،1997م.
10- الطبريّ، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآنِ،ط1، دار التَّربية والتُّراثِ،مكَّة المكرمة، د.ت.
11- عبد الجليل، عبد القادر، علم اللِّسانيَّات الحديثة،ط1، دار الصفاءِ، عمَّان، 2002م.
12- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، بيروت، 1998م.
13- فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبيَّة، ط1، دار شرقيَّات للنشر، القاهرة، 2000 م.
14- القنوجيّ، أبو الطيب، فتح البيان في مقاصد القرآن،ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنَّشرِ، بيروت، 1992م.
15- ابن القيّم، بدائع الفوائد، مكتبة الصفّ - القاهرة ، ط 1، 2005م.
16- ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ(ت911هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م.
17- النّيسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م.